

ڪامل ڪيلاني

جد القروڊ



جَدُّ الْقُرُودِ

جَدُّ الْقُرُودِ

تأليف
كامل كيلاني



رقم إيداع ٢٠١٢/١٦٩٩٥

تدمك: ٠٣٥٠ ٠١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

كلمات عربية للترجمة والنشر

جميع الحقوق محفوظة للناشر كلمات عربية للترجمة والنشر
(شركة ذات مسئولية محدودة)

إن كلمات عربية للترجمة والنشر غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٢٧٤٣١ + فاكس: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥١ +

البريد الإلكتروني: kalimat@kalimat.org

الموقع الإلكتروني: <http://www.kalimat.org>

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لشركة كلمات عربية للترجمة والنشر. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Kalimat Arabia.

All other rights related to this work are in the public domain.

جَدُّ الْقُرُودِ

(١) مَهَارَةُ «الرَّبَّاحِ»

كَانَ السُّلْطَانُ «الرَّبَّاحُ» قَرْدًا كَبِيرًا، مَوْفُورَ الْمَهَارَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَوْفُورَ الْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ. ظَلَّ يَسُوسُ مَمْلَكَتَهُ الصَّغِيرَةَ فِي الْغَابَةِ، زَمَنًا طَوِيلًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَقْدِرُ الْعَوَاقِبَ تَقْدِيرَ الْعَاقِلِ الْحَكِيمِ الْمُجَرَّبِ ...

وَلَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَنِي، أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ الْأَعْرَاءُ: كَيْفَ كَانَ السُّلْطَانُ مَاهِرًا، وَلَمْ يَكُنْ عَاقِلًا؟
وَلَكُمْ الْحَقُّ فِي هَذَا السُّؤَالِ، فَإِنَّ مَهَارَةَ هَذَا الْقُرْدِ الْكَبِيرِ، كَانَتْ تَتَجَلَّى فِي قُدْرَتِهِ عَلَى تَسْلُقِ الْأَغْصَانِ بِذِرَاعَيْهِ الطَّوِيلَتَيْنِ، كَمَا تَتَجَلَّى فِي الْوَثْبِ — مِنْ شَجَرَةٍ إِلَى أُخْرَى — فِي مِثْلِ حَظْفَةِ الْبَرْقِ. وَفِي اسْتِطَاعَتِهِ الْعُدُوَّ بِسُرْعَةٍ لَا مِثِيلَ لَهَا، فَإِذَا جَرَى لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنَ الْحَيَوَانِ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ.

وَقَدْ أُعْجِبَتْ مَجْمُوعَةُ الْحَيَوَانَاتِ بِمَا اتَّصَفَ بِهِ «الرَّبَّاحُ» مِنْ خَفَّةِ الْحَرَكَةِ، وَسُرْعَةِ الْوَثْبِ، وَالْجَرَاءَةِ الشَّدِيدَةِ. وَلَكِنَّهُ كَانَ إِذَا أَدَامَ عَلَى عَمَلٍ، لَمْ يَفَكِّرْ فِي نَتِيجَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَشِرْ عَقْلَهُ فِيمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَوَاقِبِ.

وَقَدْ جَرَّتْ عَلَيْهِ تَصَرُّفَاتُهُ غَيْرَ الْحَكِيمَةِ، نَكَبَاتٍ عَظِيمَةٍ؛ لِأَنَّهُ جَهَلَ أَنَّ الْمَهَارَةَ وَالْقُدْرَةَ، لَا تُغْنِيَانِ عَنِ الْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ.



(٢) شَيْخُ الْقُرُودِ

كَانَ السُّلْطَانُ «الرَّبَّاحُ» أَقْدَمَ قَرْدٍ عَاشَ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، فَهُوَ — كَمَا تَقُولُ الْأَسْطُورَةُ —
جَدُّ الْقُرُودِ الَّتِي تَرَوْنَهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا.

وَكَانَ يَمْشِي عَلَى قَدَمَيْهِ كَمَا يَمْشِي الْإِنْسَانُ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ.

فَلَا تَعْجَبُوا إِذَا احْتَرَمْتُهُ دَوَابُّ الْغَابَةِ كُلُّهَا وَعَظَمْتُهُ، لِأَنَّهُ يَمْشِي عَلَى قَدَمَيْهِ كَمَا يَمْشِي
النَّاسُ: مَرْفُوعَ الرَّأْسِ، مُعْتَدِلَ الْقَامَةِ، قَادِرًا عَلَى أَنْ يُوجِّهَ نَظْرَهُ حَيْثُ شَاءَ، وَيَنْتَظِعُ إِلَى مَا
يُرِيدُ.

وَلَمْ يَكُنْ كَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعِ، مَحْنِي الظَّهْرِ، يَتَدَلَّى رَأْسُهُ عَلَى الْأَرْضِ، لَا
يَرَى السَّمَاءَ، إِلَّا بِجُهْدٍ وَعَنَاءٍ.

جَدُّ الْقُرُودِ

وَلَكِنَّهُ أَضَاعَ — بِحِمَاقَتِهِ — هَذِهِ الْمِيزَةَ الَّتِي كَانَتْ لَهُ، أَضَاعَهَا عَلَى نَفْسِهِ، وَعَلَى أُنْبَاءِ
جِنْسِهِ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِ.

لَقَدْ أَصْبَحَ السُّلْطَانُ «الرُّبَّاحُ» — فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ — يَمْشِي فِي الْأَرْضِ عَلَى يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ
جَمِيعًا.

وَصَارَتِ الْقِرْدَةُ — بَعْدَ ذَلِكَ — تَمْشِي، مِثْلَ مَا أَصْبَحَ يَمْشِي، عَلَى أَرْبَعٍ، كَغَيْرِهَا مِنْ
الدَّوَابِّ.

وَمَا زَالَتِ الْقِرْدَةُ كَذَلِكَ، إِلَى يَوْمِنَا هَذَا: حُرِمَتْ مَزِيَّةَ الْمَشْيِ عَلَى قَدَمَيْنِ فَقَطُّ؛ فَلَوْلَا
حِمَاقَةُ جَدِّ الْقُرُودِ «الرُّبَّاحِ»، لَمَا حُرِمَتْ تِلْكَ الْمَزِيَّةَ الْعَظِيمَةَ، مَزِيَّةَ السَّيْرِ كَمَا يَسِيرُ
الْإِنْسَانُ!



(٣) رَعِيَّةُ السُّلْطَانِ

أَمَّا رَعِيَّةُ السُّلْطَانِ «الرُّبَّاحِ»، فَكَانَتْ مُؤَلَّفَةً مِنْ جَمَاعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْحَشْرَاتِ وَعَظِيمًا: كَانَ أَكْبَرَ رَعِيَّتَيْهِ: الْفِيلُ. وَكَانَ أَصْغَرَ رَعِيَّتَيْهِ: النَّمْلَةُ. وَكَانَ بَيْنَ أَفْرَادِ شَعْبِهِ: كَلْبٌ، وَقَطٌّ، وَقَارَةٌ. وَكَانَتْ عِنْدَهُ فِي أَرْضِهِ: بَرْكَةٌ مَاءٍ وَاسِعَةٌ، وَعَصَا مِنَ الْعِصِيِّ الْخَشَبِيَّةِ الْجَمِيلَةِ، وَنَارٌ مُتَّقَدَةٌ، لَيْلَ نَهَارٍ.

وَكَانَتْ الرَّعِيَّةُ كُلُّهَا — مِنَ الْحَيَوَانَاتِ — مُجْمَعَةٌ عَلَى الْوَلَاءِ لِلْسُّلْطَانِ «الرُّبَّاحِ»؛ فَهِيَ دَائِمًا تَحْتَرِمُ فِيهِ قُدْرَتَهُ عَلَى السَّبْقِ وَالْفَوْزِ، وَلَا تُخَالِفُ لَهُ أَمْرًا فِي شَيْءٍ كَبِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ. وَهَكَذَا كَانَ قَوْلُ ذَلِكَ السُّلْطَانِ «الرُّبَّاحِ» مُطَاعًا دَائِمًا فِي أَرْضِهِ؛ وَحُكْمُهُ نَافِذًا لَا مَرَدٍّ لَهُ بَيْنَ أَفْرَادِ شَعْبِهِ.

وَقَدْ عَرَفْتُمْ — يَا أَبْنَائِي الْبُرَّةَ — أَنَّ الْمَاءَ يُطْفِئُ النَّارَ الْمُتَّقَدَةَ، وَيُخَمِّدُهَا فِي الْحَالِ، إِذَا نَحْنُ صَبَبْنَاهُ عَلَيْهَا.

وَلَكِنَّ الْأَسْطُورَةَ الْإِفْرِيقِيَّةَ تُحَدِّثُنَا أَنَّ الْمَاءَ — فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ — لَا يُطْفِئُ النَّارَ. فَهِيَ تَظَلُّ مُوقَدَةٌ لَا تَحْبُو، تَضِيءُ مَا حَوْلَهَا طَوَلَ اللَّيْلِ، وَتَبْتَعُ الدَّفْعَ فِي الْجَوْ كُلِّهِ صَبَاحَ مَسَاءٍ! وَأَمَّا الْمَاءُ فَكَانَ صَافِيًا طَهُورًا، لَا تُعَكِّرُ صَفْوَهُ شَائِبَةٌ، وَلَا يَقِلُّ أَوْ يَنْقَطِعُ طَوَلَ الْوَقْتِ، فَتَرْتَوِي بِهِ الْحَيَوَانَاتُ، وَلَا تَشْكُو الْعَطَشَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ.

إِنَّ النَّارَ وَالْمَاءَ أَصْلُ الْحَيَاةِ، وَلِهَذَا عَاشَ الْمَاءُ وَالنَّارُ — مُنْذُ قَدِيمِ الزَّمَانِ — صَدِيقَيْنِ مُتَحَابِّينِ، وَمَا زَالَا عَلَى صِدَاقَتَيْهِمَا وَأُلْفَتَيْهِمَا إِلَى عَهْدِ ذَلِكَ السُّلْطَانِ «الرُّبَّاحِ». النَّارُ: تُدْفِئُ الْجَوْ، وَتُنْضِجُ أَلْوَانَ الطَّعَامِ، وَالْمَاءُ: يَرْوِي الْعِطَاشَ، وَيَنْظِفُ الْأَشْيَاءَ.

وَلَمْ تَكُنِ الصِّدَاقَةُ — يَوْمَئِذٍ — مَقْصُورَةً عَلَى الْمَاءِ وَالنَّارِ وَحْدَهُمَا، بَلْ كَانَتْ عَامَّةً بَيْنَ أَبْنَاءِ الشَّعْبِ، تُوَلِّفُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ جَمِيعًا: فَكَانَ الْقَطُّ صَدِيقًا لِلْقَارَةِ، لَا عَدُوًّا لَهَا، كَمَا نَرَى الْآنَ. وَلَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ لَهُ أَنْ يَعْضَهَا، أَوْ يَفْتِكَ بِهَا، وَإِنَّمَا كَانَا يَتَعَاوَنَانِ عَلَى الْعَيْشِ، فِي مَحَبَّةٍ وَصَفَاءٍ.

وَلَمْ تَكُنِ الْعَصَا الْخَشَبِيَّةُ تَهْمُ بِضَرْبِ الْكَلْبِ، بَلْ كَانَتْ — عَلَى حَالِهَا — وَاِدْعَةً سَاكِئَةً، لَا تَرْضَى أَنْ تُؤْذِيَ أَحَدًا.

وَلَمْ تَكُنِ النَّمْلَةُ تَقْرُصُ صَاحِبَهَا الْفِيلَ، بَلْ كَانَتْ تُجِلُّهُ — لِمَنْظَرِهِ الْهَائِلِ، وَحَجْمِهِ الضَّخْمِ — فَلَا تُحَاوِلُ أَنْ تُؤَلِّمَهُ.
وَهَكَذَا سَادَ الصَّفَاءُ وَالْحُبُّ أَرْجَاءَ الْغَايَةِ، إِلَى أَيَّامِ حُكْمِ هَذَا السُّلْطَانِ، حَتَّى حَدَثَ —
وَأَسْفَاهُ — مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحِسَابِ.

(٤) بَدْءُ الشَّرِّ

كَانَ السُّلْطَانُ «الرُّبَّاحُ» قَدْ طَلَبَ مِنْ حَيَّاطٍ أَنْ يَخِيطَ لَهُ رِدَاءً يَلِيْقُ بِعَظَمَةِ السُّلْطَانِ، لِيُظَهِّرَ بِهِ أَمَامَ عُيُونِ أَفْرَادِ شَعْبِهِ، فِي سَكْلِ مَهِيْبٍ، يَتَمَيِّزُ بِهِ عَمَّا حَوْلَهُ مِنْ صُنُوفِ الْحَيَوَانِ.
وَلَمْ يَمْلِكْ ذَلِكَ الْحَيَّاطُ إِلَّا أَنْ يَسْتَحْيِبَ لِهَذِهِ الرَّغْبَةِ، وَخَاطَ الرِّدَاءَ عَلَى خَيْرِ وَجْهِ، فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ، وَأَعْتَزَمَ أَنْ يُقَدِّمَهُ — فِي عَدٍ — إِلَى السُّلْطَانِ «الرُّبَّاحِ»، تَحْقِيقًا لَوَعْدِهِ إِيَّاهُ.
وَفِي الصَّبَاحِ، اِكْتَشَفَ الْحَيَّاطُ أَنَّ الرِّدَاءَ قَدْ أَصَابَهُ تَلَفٌ: لَقَدْ ظَهَرَتْ فِيهِ خُرُوقٌ كَبِيرَةٌ، لَا يَعْرِفُ كَيْفَ حَدَثَتْ فِيهِ، وَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ الْعَجَبِ، لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ لَهُ مِنْ سَبَبٍ!
وَأَخِيرًا هَدَاهُ تَفَكُّيرُهُ الطَّوِيلُ إِلَى أَنَّ الْحَيَوَانَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ إِحْدَاثَ هَذِهِ الْخُرُوقِ الْكَبِيرَةِ فِي ذَلِكَ الرِّدَاءِ، هُوَ: الْفَأْرَةُ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرَهَا تَفَعَّلَ ذَلِكَ. فَمَاذَا يَصْنَعُ؟
أَسْرَعَ الْحَيَّاطُ إِلَى السُّلْطَانِ «الرُّبَّاحِ»، يَتَّهَمُ الْفَأْرَةَ بِأَنَّهَا خَرَقَتْ الرِّدَاءَ، وَكَانَتْ هَذِهِ الشُّكُوى سَبَبًا فِي شَقَاءِ السُّلْطَانِ وَشَعْبِهِ جَمِيعًا، كَمَا تَحَدَّثُنَا الْأَسْطُورَةُ الْأَفْرِيقِيَّةُ الْعَجِيبَةُ.
وَقَدْ أَطْلَعَ الْحَيَّاطُ السُّلْطَانَ عَلَى سِنَّةِ خُرُوقٍ، بَدَتْ فِي الرِّدَاءِ، وَأَوْضَحَ لَهُ أَنَّ الرِّدَاءَ —
حِينَ خَاطَهُ — كَانَ صَاحِبًا سَلِيمًا!



وَقَالَ الْخَيَّاطُ مُؤَكِّدًا قَوْلَهُ لِلسُّلْطَانِ «الرُّبَّاحُ»: «الْحَقُّ أَنِّي حَاوَلْتُ جَاهِدًا أَنْ أَعْرِفَ
السِّرَّ فِي حُدُوثِ هَذِهِ الْخُرُوقِ السَّتِّةِ، فَلَمْ أَصِلْ إِلَى شَيْءٍ، بَعْدَ طَوْلِ الْجُهْدِ. فَقُلْتُ: أَعْلَبُ الظَّنُّ
أَنَّ الْفَأْرَةَ هِيَ الَّتِي ازْتَكَبَتْ هَذِهِ الْفِعْلَةَ. وَلَكِنِّي رَأَيْتُ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيَّ أَنْ أَتَبَيَّنَ الْحَقِيقَةَ.
فَلَمَّا سَأَلْتُ الْفَأْرَةَ عَنْ سَبَبِ هَذِهِ الْخُرُوقِ السَّتِّةِ، اتَّهَمَتِ الْقِطَّ.
فَلَمَّا سَأَلْتُ الْقِطَّ عَنْ هَذِهِ الْخُرُوقِ، قَالَ لِي فِي تَأَكِيدٍ: إِنَّهُ رَأَى بَعَيْنَيَّ رَأْسَهُ الرِّدَاءِ بَيْنَ
أَسْنَانِ الْكَلْبِ، فَعَلَيْهِ الذَّنْبُ.
فَلَمَّا سَأَلْتُ الْكَلْبَ، أَنْكَرَ التُّهْمَةَ بِشِدَّةٍ، وَاتَّهَمَ الْعَصَا.
فَلَمَّا سَأَلْتُ الْعَصَا، أَخْبَرْتَنِي أَنَّ النَّارَ هِيَ الَّتِي أَلْحَقَتِ الْأَدَى بِالرِّدَاءِ، وَأَنَّ الْعَصَا مِنَ
التُّهْمَةِ بَرَاءٌ.

فَدَهَبْتُ إِلَى النَّارِ، أَسْأَلُهَا عَمَّا فَعَلْتَهُ بِالرِّدَاءِ؛ فَلَمْ تَلْبَثِ النَّارُ أَنْ رَعَمَتْ — مُصَمِّمَةً عَلَى رَعِمِهَا — أَنَّ الْمَاءَ هُوَ الَّذِي حَرَّقَهُ.

فَلَمَّا سَأَلْتُ الْمَاءَ عَنْ ذَلِكَ، أَنْكَرَ التُّهْمَةَ كُلَّ الْإِنْكَارِ، وَرَعَمَ أَنَّ الْفِيلَ هُوَ الَّذِي أَتْلَفَ الرِّدَاءَ.

وَلَمَّا سَأَلْتُ الْفِيلَ، أَتَهَمَ النَّمْلَةَ، بِأَنَّهَا فَعَلَتْ تِلْكَ الْفَعْلَةَ.
فَوَقَفْتُ حَائِرَ الدَّهْنِ، مُشْتَتَ الرَّأْيِ، لَا أَدْرِي عَلَى الْحَقِيقَةِ: مِنَ الَّذِي صَنَعَ هَذِهِ الْإِسَاءَةَ، فِي الْخَفَاءِ؟!»

(٥) غَضَبُ «الرُّبَّاحِ»

وَمَا عَرَفَ السُّلْطَانُ «الرُّبَّاحُ» مِنَ الْخِيَاطِ تَفْصِيلَ هَذَا الْحَادِثِ الْغَرِيبِ، حَتَّى امْتَلَأَتْ نَفْسُهُ غَضَبًا وَحَنَقًا، وَشَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَرَى رِداءَهُ قَدْ أَصَابَهُ التَّلْفُ، فَالْتَفَتَ إِلَى الْخِيَاطِ، قَائِلًا: «لَقَدْ تَبَيَّنْتُ — مِنْ قِصَّتِكَ — أَنَّ أَبْنَاءَ شِعْبِي يَخْتَصِمُونَ جَمِيعًا، مِنْ جَرَاءِ هَذَا الرِّدَاءِ الْمَحْرَقِ، وَأَنْتُمْ يَنْهَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي ذَلِكَ؛ فَيَشْتَبِهُ الصَّادِقُ وَالْكَاذِبُ، وَالْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ! فَلَا تَتَوَانُ فِي إِحْضَارِهِمْ إِلَيَّ، حَتَّى أَتَعَرَّفَ مِنْهُمْ جَلِيَّةَ الْأَمْرِ. وَإِنِّي لِقَادِرٌ عَلَى أَنْ أَجْزِيَ الْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.»

ثُمَّ أَطْرَقَ السُّلْطَانُ «الرُّبَّاحُ» مُفَكِّرًا فِي هَذَا الْحَادِثِ، وَقَالَ، وَقَدْ دَهَشَ كُلَّ الدَّهْشِ لِمَا سَمِعَهُ مِنَ الْخِيَاطِ: «يَا لِلْعَجَبِ! لَمْ أَعْهَدْ مِثْلَ هَذَا، فِي حَيَاتِي، مِنْ قَبْلُ. هَلْ أَقْفُ أَمَامَ هَذَا الْأَمْرِ حَائِرًا، لَا أَعْرِفُ حَقِيقَتَهُ؟ كَيْفَ يَحْدُثُ — فِي عَهْدِي — هَذَا الْجُرْمِ الْكَبِيرِ؟ وَعَلَى مَنْ تَقَعُ التَّبِعَةُ فِيهِ، يَا تُرَى؟ يَنْبَغِي أَلَّا أَنْفِرِدَ بِالرَّأْيِ، فِيمَا جَرَى. لَا بَدَّ مِنْ اسْتِشَارَةِ الْوَزِيرِ التَّلْعَبِ: «ابْنِ آوَى»، فِي هَذَا الْأَمْرِ الْخَطِيرِ!»

ثُمَّ أَدْنَى السُّلْطَانُ «الرُّبَّاحُ» لِلْخِيَاطِ فِي الْجُلُوسِ.
فَاتَّخَذَ الْخِيَاطُ مَجْلِسَهُ، كَمَا أَشَارَ السُّلْطَانُ، ثُمَّ أَخْرَجَ إِبْرَتَهُ مِنْ جَيْبِهِ، لِيَرَفُو الْفُتُوقَ الَّتِي حَدَثَتْ فِي الرِّدَاءِ.

فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ «الرُّبَّاحُ» يَقُولُ لَهُ: «حَذَارُ أَنْ تَرْتُقَ الْفُتُوقَ الْآنَ؛ فَإِنَّ حُصُومَكَ سَيُنْكِرُونَ عَلَيْكَ شُكُوكًا، إِذَا أَصْلَحْتَ الثُّوبَ؛ وَسَيَزْعُمُونَ لَكَ أَنَّهُ سَلِمَ لَمْ يُحْرَقْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَأَنَّ اتِّهَامَكَ لَهُمْ بَاطِلٌ.»

فَقَالَ الْخَيَّاطُ لِلسُّلْطَانِ «الرُّبَّاحُ»: «السَّمْعُ لَكَ وَالطَّاعَةُ. وَلِكِنِّي أَسْأَلُكَ رَاجِيًّا أَنْ تَكُفَّ عَنِ اسْتِشَارَةِ وَزِيرِكَ التُّغَلْبِ: «ابْنِ آوَى»؛ فَإِنَّ مَشُورَتَهُ لَا تُعْفَبُ إِلَّا أَدَى، وَلَا تُنْتَجُ إِلَّا شَرًّا! وَقَدْ اشْتَهَرَ هَذَا التُّغَلْبُ دَائِمًا بَيْنَنَا — مُنْذُ عَرَفْنَاهُ وَعَرَفْنَا — بِالْوَقِيعَةِ وَالِدَّسِّ، وَالْحَدِيدَةِ وَالغَدْرِ. فَلَا تُعَوَّلْ عَلَى مَشُورَتِهِ.»

وَكَانَ الْخَيَّاطُ صَادِقًا فِي حُكْمِهِ عَلَى التُّغَلْبِ «ابْنِ آوَى»؛ مُخْلِصًا فِي نَصِيحَتِهِ لِلسُّلْطَانِ «الرُّبَّاحُ» أَلَّا يَسْتَشِيرَهُ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ الَّذِي حَدَثَ، وَلِكِنَّ السُّلْطَانَ «الرُّبَّاحُ» لَمْ يَشَأْ أَنْ يَتَلَقَّى نَصِيحَةَ الْخَيَّاطِ بِالْقَبُولِ؛ لِأَنَّ «الرُّبَّاحُ» كَانَ شَدِيدَ الْوُثُوقِ بِذَكَاءِ وَزِيرِهِ التُّغَلْبِ: «ابْنِ آوَى»، وَسَعَةَ حِيلَتِهِ. وَلِذَلِكَ أَصْرَّ عَلَى أَنْ يَعْرِضَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ، وَيَسْتَشِيرَهُ، فِيهِ.



(٦) مَشُورَةُ النَّعَلَبِ

وَقَدْ أَفْضَى السُّلْطَانُ إِلَى النَّعَلَبِ: «ابْنِ آوَى» بِمَا أَحَدَتْهُ الْجِنَاةُ مِنْ خُرُوقِي فِي الرِّدَاءِ؛ فَرَسَمَ لَهُ «ابْنُ آوَى» خُطَّةَ الْقِصَاصِ مِنَ الْأَثْمِينِ، وَزَيَّنَ لَهُ أَنْ يُنْفَذَهَا كَمَا رَسَمَهَا لَهُ. لَقَدْ قَالَ النَّعَلَبُ «الشَّعْبَرُ» لِلْسُّلْطَانِ «الرُّبَّاحُ»: «إِيَّاكَ أَنْ تَتَهَاوَنَ فِي هَذَا الْأَمْرِ؛ فَإِنَّ الَّذِي اعْتَدَى عَلَى الرِّدَاءِ يَعْلَمُ حَقَّ الْعِلْمِ أَنَّهُ رِداءُ السُّلْطَانِ؛ وَلَكِنَّ جُرْأَتَهُ وَسُوءَ أَدَبِهِ، جَعَلَتْهُ يَفْعَلُ فَعَلْتَهُ، لَا يُبَالِي شَيْئًا، وَلَا يَخْشَى أَحَدًا! وَيَجِبُ أَنْ يَنَالَ جَزَاءَهُ الرَّادِعَ لغيرِهِ، حَتَّى لَا تَفْسُدَ الْأُمُورُ.»

وَقَبِلَ السُّلْطَانُ «الرُّبَّاحُ» مَشُورَةَ النَّعَلَبِ الْغَادِرِ الْخَبِيثِ، وَلَمْ يَعْباُ بِنَصِيحَةِ الْخَيَّاطِ الْمُخْلِصِ الْأَمِينِ!

وَبَعْدَ قَلِيلٍ: أَحْضَرَ «ابْنُ آوَى» جَمِيعَ الْمُتَهَمِينَ بِخَرْقِ الرِّدَاءِ؛ وَمَثَلُوا بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانِ «الرُّبَّاحُ»، كَمَا أَمَرَهُمُ النَّعَلَبُ.

فَوَقَفَتِ الْفَأْرَةُ الرَّمَادِيَّةُ الصَّغِيرَةُ سَاكِنَةً، وَإِلَى جَانِبِهَا الْقِطُّ الْأَبْيَضُ مُمْتَثِلًا، فَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ الشَّعْرُ ذَلِيلًا.

وَكَذَلِكَ وَقَفَتِ الْعَصَا الْخَشَبِيَّةُ، وَإِلَى جَانِبِهَا بَدَتِ النَّارُ الْمُتَهَبَّةُ، وَيَقْرُبُهَا بَرْكَةُ الْمَاءِ الْوَاسِعَةُ، وَوَقَفَ الْفَيْلُ غَيْرَ بَعِيدٍ، وَإِلَى جَانِبِهِ النَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ عَلَى طَرْفِ وَرْقَةٍ فِي شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ.



(٧) مُحَاكَمَةُ الْجُنَاةِ

وَبَدَا الْقَلْقُ عَلَى الْمُتَهَّمِينَ، وَهُمْ وَقُوفٌ، وَدَارَ بَيْنَهُمُ الِهْمْسُ، وَكُلُّ مِنْهُمْ يُعِدُّ نَفْسَهُ لِلتَّخْلِصِ مِنْ التُّهْمَةِ، وَالِقَاءِ التَّبِعَةِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ رِفَاقِهِ؛ حَتَّى يَنْجُو هُوَ بِبَدَنِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ الَّتِي سَيُشِيرُ بِهَا التَّلْعَبُ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ التَّلْعَبَ سَيُشِيرُ بِأَشَدِّ الْعُقُوبَةِ وَأَقْسَاهَا، وَأَنَّ السُّلْطَانَ سَيَقْبَلُ مَشُورَتَهُ.

فَقَالَ السُّلْطَانُ «الرَّبَّاحُ» لِلْحَيَّاطِ: «أَطْهَرِ الرَّدَاءَ.»

فَرَفَعَ الْحَيَّاطُ الرَّدَاءَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَفِيهِ التُّقُوبُ السَّتَّةُ.

وَالْتَفَتَ السُّلْطَانُ إِلَى رَعِيَّتِهِ، سَائِلًا إِيَّاهُمْ: «أَيُّكُمْ اقْتَرَفَ هَذَا الْجُرْمَ الْكَبِيرَ فِي الرَّدَاءِ؟»

فَقَالَتِ الْفَارَةُ: «لَقَدْ اقْتَرَفَهُ الْحَيَّاطُ نَفْسُهُ، وَلَا ذَنْبَ لَنَا.»

فَصَاحَ الْقِطُّ: «بَلِ الْفَأْرَةُ هِيَ الَّتِي اقْتَرَفْتَهُ، لَا سِوَاهَا.»
فَقَالَ الْكَلْبُ: «بَلِ الْعَصَا الْخَشَبِيَّةُ هِيَ الْجَانِيَّةُ، لَا الْفَأْرَةُ.»
فَصَاحَتِ الْعَصَا: «بَلِ الْجَانِي هُوَ الْكَلْبُ وَحْدَهُ، لَا أَنَا.»
فَقَالَتِ النَّارُ: «الْمَاءُ هُوَ الَّذِي خَرَقَ الرِّدَاءَ، وَأَنَا مِنْهُ بَرَاءٌ.»
وَقَالَ الْمَاءُ: «لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ إِلَّا النَّارُ، وَأَنَا بِذَلِكَ أَشْهَدُ.»
وَصَاحَ الْفَيْلُ: «بَلِ النَّمْلَةُ هِيَ الَّتِي فَعَلْتَهُ، وَعَلَيْهَا الْوِزْرُ.»
وَقَالَتِ النَّمْلَةُ: «كَلَّا، مَا فَعَلَهُ إِلَّا ذَلِكَ الْفَيْلُ الثَّقِيلُ.»



(٨) حُكْمُ السُّلْطَانِ

فَقَالَ النَّعْلَبُ «ابْنُ أَوْي»: «إِنَّهُمْ يُنْجِرُونَ الْجَرِيمَةَ، وَيَأْبُونَ الإِعْتِرَافَ بِالْحَقِيقَةِ. وَالرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ يُعَاقَبُوا جَمِيعًا.»

فَأَلْتَقَتِ السُّلْطَانُ «الرُّبَاحُ» إِلَى الْخِيَاطِ، وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ تَتَّهَمُ الْفَأْرَةَ بِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي اعْتَدَتْ عَلَى الرَّدَاءِ.»

فَقَالَ الْخِيَاطُ، وَإِبْرَتُهُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، يُشِيرُ بِهَا: «نَعَمْ أَتَّهَمُهَا، وَلَا أَحْسِبُنِي أَظْلَمُهَا بِهَذَا الإِتِّهَامِ.»

فَانْتَجَهَ السُّلْطَانُ بِنَظَرِهِ إِلَى الْقِطِّ، وَقَالَ لَهُ: «تَعَالَى يَا «أَبَا خِدَاشِ»، هَلُمَّ فَعَضَّ الْفَأْرَةَ.»

وَسُرْعَانَ مَا جَعَلَ الْقِطُّ يَعْضُ الْفَأْرَةَ بِأَسْنَانِهِ الْخَادَّةِ.

ثُمَّ قَالَ السُّلْطَانُ «الرُّبَاحُ» لِلْكَلبِ: «وَأَنْتِ، يَا «ابْنُ وَاذِعِ»: هَلْ تَتَّهَمُ «أَبَا خِدَاشِ»؟»

فَأَجَابَهُ الْكَلْبُ: «نَعَمْ أَتَّهَمُهُ، وَأَنَا عَلَى ثِقَةٍ بِمَا أَقُولُ.»

فَقَالَ لَهُ السُّلْطَانُ: «إِذْنًا، هَلُمَّ فَعَضَّ الْقِطُّ، عَلَى الْفُورِ.»

فَاسْرَعَ الْكَلْبُ إِلَى الْقِطِّ — مُطِيعًا لِلأَمْرِ — وَأَنْشَبَ أَنْيَابَهُ فِي فُرُوتِهِ النَّاعِمَةِ، يَعْضُّهَا

بِشِدَّةٍ، وَالْقِطُّ يُحَاوِلُ الْفِكَاكَ.

وَحَدَّقَ السُّلْطَانُ إِلَى الْقِطِّ، وَقَالَ لَهُ: «وَأَنْتِ، يَا «أَبَا خِدَاشِ»: هَلْ تَتَّهَمُ الْكَلْبَ؟»



فَقَالَ لَهُ الْقِطُّ: «نَعَمْ، أَتَهُمُ، وَأَنَا عَلَى ثِقَةٍ بِمَا أَقُولُ.»
 فَمَالَ السُّلْطَانُ عَلَى الْعَصَا، قَائِلًا لَهَا: «أَيُّهَا الْعَصَا الْخَشَبِيَّةُ: جَاءَ الْآنَ دَوْرُكَ فِي آدَاءِ
 وَاجِبِكَ. هَلُمَّيْ، فَاضْرِبِي ظَهْرَ الْكَلْبِ الْجَانِي أَوْجَعَ الضَّرْبُ.»
 فَقَالَتِ الْعَصَا مُتَأَلِّمَةً، وَهِيَ تَضْرِبُ الْكَلْبَ: «إِنَّ النَّارَ هِيَ الَّتِي فَعَلْتَ ذَلِكَ الْجُرْمَ
 الشَّنِيعَ.»
 فَمَا لَبِثَ السُّلْطَانُ أَنْ اشْتَدَّ غَضَبُهُ، وَقَالَ لِلنَّارِ: «هَلُمَّيْ أَيُّهَا النَّارُ، فَأَحْرِقِي الْعَصَا
 الْخَشَبِيَّةَ.»
 فَلَمَّا أَطَاعَتِ النَّارُ، قَالَ السُّلْطَانُ لِلْمَاءِ: «تَعَالَ أَيُّهَا الْمَاءُ؛ فَاطْلِقِ مَوْجَاتِكَ، لِتُطْفِئِي
 النَّارَ عَلَى الْفُورِ.»
 ثُمَّ التَفَتَ السُّلْطَانُ إِلَى الْفِيلِ، قَائِلًا لَهُ: «أَمَا أَنْتَ — يَا «أَبَا حَجَّاجٍ» — فَعَلَيْكَ أَنْ
 تَغْتَسِلَ فِي الْبِرْكَةِ، وَأَنْ تَنْفَخَ فِي الْمَاءِ لِتَتَعَكَّرَ، وَيَسِيلَ عَلَى الْأَرْضِ.»

فَلَمَّا فَعَلَ، اُلْتَفَتَ السُّلْطَانُ إِلَى النَّمْلَةِ، قَائِلًا: «تَعَالِي - أَيَّتُهَا النَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ -
فَأَقْرِصِي الْفِيلَ «أَبَا حَجَّاجٍ»: فَإِنَّكَ تُوجِّهِينَ إِلَيْهِ الْاِتِّهَامَ بِأَنَّهُ خَرَقَ الرِّدَاءَ.»
وَهَكَذَا تَوَالَتِ الْعُقُوبَاتُ، وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى، حَتَّى شَمِلَتِ الْجَمِيعَ، دُونَ اسْتِثْنَاءٍ، لَا
فَرَقَ بَيْنَ الْمُذْنِبِينَ وَالْأَبْرِيَاءِ.



(٩) عَاقِبَةُ الطَّيِّشِ

هَكَذَا شَقِيَ الشَّعْبُ الْمَسْكِينُ بِذَلِكَ التَّصَرُّفِ السَّيِّئِ؛ تَصَرَّفَ السُّلْطَانُ «الرِّبَاحِ» الَّذِي لَمْ
يَكُنْ عَاقِلًا فِي رَأْيِهِ، وَلَا عَادِلًا فِي حُكْمِهِ؛ وَلِكِنَّهُ قَضَى بِالْعُقُوبَةِ عَلَى الْجَمِيعِ، دُونَ تَمْيِيزِ بَيْنِ
ظَالِمٍ وَمَظْلُومٍ، كَأَنَّهُمْ اشْتَرَكُوا فِي الْجِنَايَةِ!

وَهَكَذَا حَلَّ الْخِصَامُ فِي الْبُقْعَةِ مَحَلَّ الْوِثَامِ، وَسَادَتِ الْبُغْضَاءُ وَالتَّنَافُرُ بَيْنَ أَفْرَادِ ذَلِكَ الشَّعْبِ الْمَنْكُوبِ.

لَقَدْ انْسَقَ السُّلْطَانُ «الرَّبَّاحُ» وَرَاءَ عَاطِفَتِهِ وَهَوَاهُ، فَلَمْ يَكُنْ مُوَفِّقَ الرَّأْيِ وَلَا كَانَ حَسَنَ التَّصَرُّفِ!

إِنَّهُ أَبِي أَنْ يَسْتَمِعَ إِلَى نَصِيحَةِ الْخِيَّاطِ الْمُخْلِصِ، وَتَرَكَهُ لِيَسْتَمِعَ إِلَى مَشُورَةِ التَّعَلُّبِ الْمَاكِرِ، الَّذِي أَشَارَ عَلَى السُّلْطَانِ بِرَأْيٍ سَيِّئٍ، كَانَ مِنْ نَتِيجَتِهِ الْإِسَاءَةُ إِلَى رَعِيَّةِ السُّلْطَانِ أَجْمَعِينَ!

وَلَمَّا حَلَا التَّعَلُّبُ «الشَّعْبُ» الْمَاكِرُ الْخَبِيثُ لِنَفْسِهِ — فِي فِضَاءِ الْغَابَةِ — صَاحَ صَيْحَةَ الظَّافِرِ الْمُنتَصِرِ، وَقَالَ: «وَا فَرَحَتَاهُ! لَقَدْ انْقَضَى عَهْدُ الْمَحَبَّةِ وَالْوِثَامِ، وَالْأُخُوَّةِ وَالسَّلَامِ، وَحَلَّ مَحَلَّهُ عَهْدُ الْبُغْضِ وَالْخِصَامِ! وَمَا حَدَثَ هَذَا إِلَّا بِفَضْلِ مَشُورَتِي وَنَصِيحَتِي، وَأَنَا ذَلِكَ «الشَّعْبُ» الْمَاكِرُ؛ وَزِيرُ السُّلْطَانِ «الرَّبَّاحُ»، سُلْطَانِ الْغَابَةِ الْأَكْبَرِ!»



(١٠) جَزَاءُ الظُّلْمِ

وَمَا زَالَتْ الْخُصُومَةُ نَاشِبَةً بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُتَخَاصِمِينَ إِلَى الْيَوْمِ.
لَقَدْ لَقِيَ هَؤُلَاءِ الْمُتَخَاصِمُونَ جَزَاءَ كَذِبِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَاتِّهَامِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ،
بِعَيْرِ حَقٍّ وَلَا دَلِيلٍ.

فَإِنَّ الْقِطْطَ لَا يَزَالُ يَعْضُ الْفَأْرَ، وَيَتَرَبَّصُّ لَهُ؛ وَلَا يَزَالُ الْكَلْبُ يَعْضُ الْقِطْطَ؛ وَالنَّمْلَةُ
تَقْرُصُ الْفَيْلَ؛ وَالنَّارُ تُحْرِقُ الْحَشَبَ؛ وَالْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ؛ وَالْفَيْلُ يَغْتَسُّ فِي الْبِرْكَةِ وَيَعْكُرُ
الْمَاءَ! وَلَمْ يُعَدِّ بَيْنَهُمْ جَمِيعًا وَفَاقًا أَوْ سَلَامًا.

وَلَمْ يَنْجُ السُّلْطَانُ «الرِّبَاحُ» نَفْسَهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ الْأَلِيمَةِ، جَزَاءَ خُضُوعِهِ لَوَازِيرِهِ الثَّغَلِبِ
الْمَكَارِ، وَأَخْدَاعِهِ بِمَشُورَتِهِ.

فَفِي صَبَاحِ غَدٍ، وَجَدَ السُّلْطَانُ «الرُّبَّاحُ» نَفْسَهُ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى السَّيْرِ عَلَى قَدَمَيْهِ، إِلَّا خُطُوتٍ قَصِيرَةً، ثُمَّ يَقْفِزُ وَيَتَوَانَبُ!
 وَصَارَ — مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ — لَا يَسِيرُ كَمَا يَسِيرُ الْإِنْسَانُ، فِي كُلِّ مَكَانٍ، بَلْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ، كَمَا يَمْشِي سَائِرُ الْحَيَوَانَ، فَلَا يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ عَلَى قَدَمَيْهِ إِلَّا قَلِيلًا!
 لَقَدْ حَرَمَهُ اللَّهُ نِعْمَةَ السَّيْرِ عَلَى قَدَمَيْهِ، جَزَاءَ ظُلْمِهِ، وَسُوءِ حُكْمِهِ، وَغَفْلَتِهِ عَمَّنْ يَخْدَعُهُ، وَيَمْكُرُ بِهِ.

يُجَابُ مِمَّا فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْآتِيَةِ

- (١س) كيف كان السلطان «الرُّبَّاحُ» ماهراً، ولم يكن عاقلاً؟
- (٢س) ممَّ كانت تتألف رعيَّةُ جدِّ القُرودِ؟
- (٣س) كيف كانت العلاقة بين أبناء الشعب؟
- (٤س) لماذا طلب «الرُّبَّاحُ» من الخيَّاط أن يخيِّطَ له رداءً؟
- (٥س) ماذا صنع الخياط حين اكتشف خُرُوقاً في الرِّداءِ؟
- (٦س) ماذا حَيَّرَ الخياط لما سأل الرعيَّةَ عَمَّنْ أحدث الخُرُوقَ؟
- (٧س) ماذا صنع «الرباح» حين علم بأن الرعيَّة يتهم بعضها بعضاً؟
- (٨س) لماذا طلب السلطان «الرباح» من الخيَّاط ألاَّ يَزُفُو الفُتُوقَ؟
- (٩س) لماذا طلب الخياط من السلطان ألاَّ يستشير الثعلبَ في الأمر؟
- (١٠س) لماذا أصرَّ السلطان على رأيه في اختيار مستشاره؟
- (١١س) ماذا صنع الثعلب مع الرعيَّة، تنفيذاً لخطته؟
- (١٢س) ماذا أخاف الرعيَّةَ وهم وُقُوفُ أمام السلطان؟
- (١٣س) بماذا حكم السلطان على الرعيَّة التي تبادلت الاتهام؟
- (١٤س) لماذا لم يكن السلطانُ «الرُّبَّاحُ» عادلاً في محاكمتِهِ للرعيَّةِ؟
- (١٥س) لماذا فرح الثعلب بما جرى لرعيَّة السلطان؟
- (١٦س) ماذا كانت نتيجة كذب الرعيَّة: بعضها على بعض؟

جَدُّ الْقُرُودِ

(س١٧) ماذا أصاب السُّلْطَانَ «الرَّبَّاحَ» وَذُرِّيَّتَهُ — من بعده — جزاءً انخداعه
بِمَشُورَةِ الثَّعْلَبِ؟